روايته في قائمة أحسن الكتب لعام 2008

الروائي التشيلي روبرتو بولانو واللعب بالواقع والخيال

ترجمة: نجاح الجبيلي

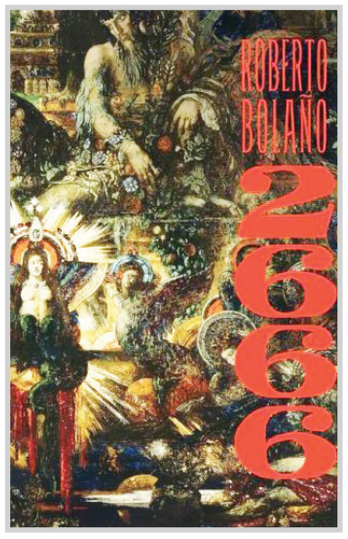

القلة من الكتاب أكثر شهرة الآن من الروائي التشيلي روبرتو بولانو الذي توفي نتيجة مرض مزمن غير محدد في الكبد عام ٢٠٠٣ وعمره ٥٠ سنة. ظهرت روايته التي صدرت بعد موته بعنوان «٢٦٦٦» في قوائم أحسن الكتب عام ٢٠٠٨ وقد أصبح الاهتمام به وبأعماله أكثر إثارة نتيجة شهرته المتزايدة لكونه متمرداً أدبياً، لكن أرملته، التي انفصل عنها قبل رحيله بوقت قصير، وأندرو ويلي الوكيل الأميركي الذي استأجرته مؤخراً بعد إبعاد نفسها عن أصدقاء السيد بولانو ومحرريه وناشره، يتحديان الآن جزء من تلك الصورة. فهما يفندان الفكرة التي أوحى بها أصلا بولانو نفسه وأيدها مترجمه الأمريكي وجرى ذكرها في العديد من المراجعات الحماسية لرواية «٢٦٦٦» في الولايات المتحدة بأنه كان «يتعاطى الهيروين» وأن موته كان نتيجة استعماله الهيروين أو أنه كان يمتلك «معرفة بالهروين».

في الوقت نفسه فإن بعض أصدقاء بولانو في المكسيك، حيث عاش نحو عقد من السنين قبل أن يستقر نهائياً قرب برشلونة/ أسبانيا، يستجوبون وجهاً آخر من قصة حياته التي أنشاها لنفسه.

يقولون بأن بولانو الذي برز سريعاً لكونه كاتباً سابقاً لجيله في أمريكا اللاتينية، لم يكن في تشيلي خلال الانقلاب العسكري الذي جاء بالجنرال أوغستو بينوشيت إلى السلطة، على الرغم من ادعائه بوسام الشرف ذاك.

وبشأن قضية تعاطي بولانو للمخدرات وقف العديد من النقاد من أوروبا وأمريكا اللاتينية وكتّاب المدونات إلى جانب أرملته متهمين الناشرين والنقاد الأمريكان بالتشويه المتعمد لماضي الكاتب ووضعه داخل القالب المألوف عن الفنان المعذب.

كتب خوليو أورتيغا الناقد البيروفي والباحث في صحيفة البايس وهي من كبرى الصحف اليومية في أسبانيا أن حياة السيد بولانو ومؤلفاته قد وضعت في «إطار مبتذل».

وتركز الجدل حول الهيروين بسبب سرد يستغرق أربع صفحات ظهر في مجموعة عنوانها «بين قوسين» ونشرت بعد سنة من موت بولانو لكنها لم تصدر بعد في الانكليزية، عنوان النص «ساحل» ويتكون من جملة طويلة مفردة استهلالها «أقلعت عن تعاطي الهيروين وعدت إلى بلدتي وبدأت بأخذ علاج الميثادون الذي أعطي لي في العيادة..».

وصفحة العنوان لكتاب «بين قوسين» تصفه كونه مجموعة من «المقالات والأحاديث»، في المقدمة يوضح أغناثيو ايشيفاريا ،وهو ناقد أسباني ومحرر عينه بولانو كوصي أدبي له، بأن الكتاب يجب أن ينظر إليه لكونه «نوعا من السيرة الذاتية المجزأة» و«خارطة شخصية» لبولانو.

على أنه في مقابلات منفصلة قال أغناثيو ايشيفاريا وخورخه هيرالد وناشر بولانو بأن المقدمة وصفحة العنوان للطبعات القادمة بالأسبانية سوف تتغير إلى لغة موحدة لتشير بأن «ساحل» هي قصة خيالية كما في النسخة الانكليزية التي تعتزم دار نشر «نيو دايركشن» نشرها السنة القادمة. ويعترف السيد هيرالد بأن «الموقف يؤول بنفسه إلى الفوضى لأن بولانو أحب أن يلعب الخدع ويخلق الغموض لكنه كان أيضاً يحاول أن يضع شركاً لكتاب سيرته في المستقبل».

نشرت «ساحل» أصلاً في جريدة «ال موندو» اليومية الصادرة في مدريد في تموز عام ٢٠٠٠ كجزء من سلسلة سئل فيها ثلاثون كاتباً باللغة الأسبانية للكتابة عن أسوأ صيف مرّ في حياتهم. وقال محرر الملحق الأدبي للصحيفة مانويل لورنته بأن أغلب الكتاب استجابوا «بسرديات من الواضح أنها سير ذاتية بشكل غير قابل للمناقشة». لكنه كان غير متأكد من مشاركة بولانو.

يقول السيد لورنته في مقابلة: «أعرف أن بولانو كاتب يتلاعب بالحقيقة ويتبنى الغموض والهوية الكاذبة، لهذا لم أهتم إن كان السرد الذي بعثه حقيقياً أم مخترعاً. وبالنسبة لي الشيء المهم الوحيد هو قيمتها الأدبية».

السيد وايلي الذي بدأ التعامل مع مؤلفات بولانو العام الماضي قال في مقابلة بالتلفون بأن أرملة الكاتب كارولاينا لوبيز التي التقت بولانو بعد الانتقال إلى أسبانيا في أواخر السبعينيات أشارت عرضاً خلال عشاء في برشلونة بأنها تعتبر التقارير حول تعاطي زوجها للهيروين «غير دقيقة» لكنه توقف عن مناقشة الموضوع قائلاً: «الأعمال الأدبية البوليسية» لا تثير اهتمامه.

لكن التحري الأدبي كان من الموضوعات المفضلة لدى السيد بولانو، ففي روايته «٢٦٦٦» وسابقتها التي نالت الإطراء أيضاً «التحري الوحشي» تدور حول مجموعات من الشعراء والنقاد يحاولون أن يتعقبوا الحقيقة حول الكتّاب الذين اختفوا من التاريخ أو أخفوا أنفسهم ما وراء النسخ المضببة لماضيهم.

في مقابلات بالهاتف من أسبانيا والمكسيك أوحى أصدقاء بولانو وزملاؤه بأنه أيضاً تقبل الغموض، قالت امرأة كان الكاتب على علاقة رومانسية معها لكنها طلبت عدم نشر اسمها لأنها تريد أن تحفظ سرها: «خلق أسطورته الخاصة، لا أحد يستطيع أن ينكر بأنه لعب تلك اللعبة وكان الأول الذي سيعترف بذلك».

وحسب المقالات التي تناولت سيرته الذاتية فإن السيد بولانو انتقل إلى المكسيك عام ١٩٦٨ لكنه رجع إلى تشيلي في بواكير السبعينيات لمساندة الحكومة الاشتراكية للرئيس سلفادور الليندي، ويفترض أنه قد قبض عليه وسجن أثناء الانقلاب الذي جاء بالجنرال بينوشت إلى السلطة في ١١ أيلول ١٩٧٣ لكنه جرى إنقاذه من الإعدام وسمح له بالهروب من قبل اثنين من الحرس اللذين كانا زميليه في المدرسة فتعرفا عليه.

لكن العديد من أصدقاء بولانو وبعضهم كان في تشيلي في أثناء سنوات حكم الليندي يقولون بأن الكاتب كان في المكسيك في الوقت الذي يزعم أنه كان في تشيلي.

يقول ريكاردو باسكو وهو عالم اجتماع مكسيكي ودبلوماسي كان بيته مقراً لبعض الحفلات والقراءات التي وصفها بولانو لاحقا في كتابه «التحري الوحشي»: «في منتصف السبعينيات تكلمنا كثيراً عن تشيلي ومن الواضح لي بأن روبرتو لم يكن هناك وجعل الناس يعتقدون بأن كان هناك، كان يسألني عن الأمور التي يعرفها كل شخص كان هناك وينتمي إلى اليسار».

ليو أب بولانو، وهو سائق شاحنة سابق وملاكم، قال في مقابلة بالتلفون من المكسيك بأن كان يعتقد بأن ابنه كان في تشيلي ويتذكر محادثة قال فيها بولانو الشاب بأنه «كان ذاهباً للرحيل براً» ليزور أخت أبيه هناك.

وعلى الرغم من أن ليو بولانو الذي يبلغ الثانية والثمانين ويشكو من المرض، غير متأكد من وقت الرحلة إلا أنه قال بأنه بعد الانقلاب راح يفتش عنه وحصل على تأكيدات من موظفي الحكومة المكسيكية بأنهم سوف يخلون ابنه من خلال سفارتهم هناك.

وكان باسكو واحد من الآلاف من مواطني أمريكا اللاتينية الذين ذهبوا إلى تشيلي بعد أن انتخب الليندي في عام ١٩٧٠ ليساهموا في الثورة التي توقعها الجميع، وفي أثناء انقلاب بينوشت الدموي لجأ هو ومعه المئات في السفارة المكسيكية في سنتياغو لكي يتم أعادتهم إلى أوطانهم، يقول السيد باسكو بأن بولانو «بالتأكيد لم يكن هناك»، قال بأنه ما إن سأل بولانو مباشرة هل كان هناك في تشيلي كان «جوابه غامضاً بحيث إني أردت أن أقول له «لماذا لم تجب بنعم أو لا؟» لكني أحبه وصداقتنا لم تكن قائمة على السياسة لهذا لم أهتم حقاً. لكن من الواضح أنه لم يكن هناك».

وقال أصدقاء بولانو المكسيكيون بأنه كان خجلاً من الاعتراف بأنه كان غائباً عما يعد الآن كونه التجربة السياسية المميزة لجيله والمصداقية والمكانة الممنوحة لأولئك الذين شاركوا فيها . يقول كارمن بولوسا وهو روائي وكاتب مسرحي وشاعر كانت له مراسلات مع السيد بولانو : «أعرف لماذا يكذب لأنه كان نادماً من تفويت الفرصة ولأنه لم يكن هناك».

وقال الروائي الأرجنتيني المقيم في برشلونة رودريغو فريسان: «سيرة روبرتو ستكون مثيرة للاهتمام عند قراءتها ولي الفخر بأني الصديق الوحيد له وليس الشخص الذي سيكتب سيرته».. ومن المؤسف أن الآخرين الذين يعرفون بولانو من خلال أعماله فقط سيصلون إلى الاستنتاج نفسه.

تقول مارسيلا فالديس وهي ناقدة أمريكية أشارت إلى تعاطيه الهيروين في مقالتها عن بولانو : «من الصعب الاستمرار مع خدع كاتب يلعب بالواقع والخيال، ومن هذه الناحية ربما كسبنا».

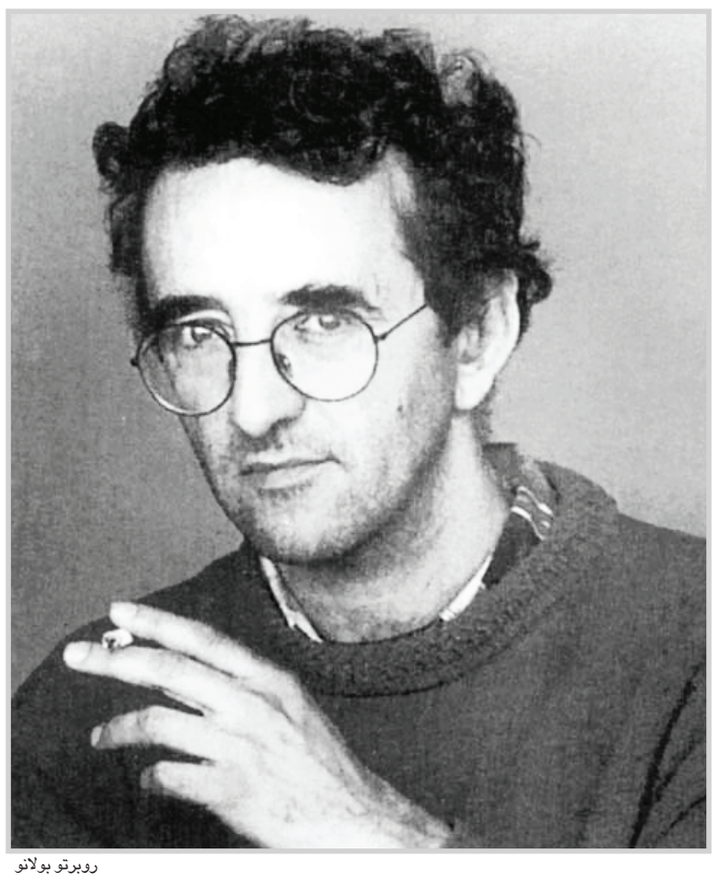
روبرتو بولانو

اخبار ثقافية

شاعر عراقي يفوز بجائزة ايطالية

فاز الشاعر الشاب ياس السعيدي بجائزة الشعر(كات زيدينيو) التي أقيمت في ايطاليا وقد أعلنت النتائج عن الفائزين بهذه المسابقة قبل اسبوع بمشاركة ١٦٠٠ شاعر من ٧٩ دولة اشتركت بالمسابقة، علماً ان الشاعر العراقي فاز بمرتبة اعلى من الجائزة الاولى وتسمى ميدالية الرئيس الايطالي الذي حصل عليها، وهو أول عربي يحصل على هذه الجائزة القيمة بالشعر العربي، وسبق قبل هذا الحدث الثقافي فوز الشاعر ياس السعيدي بالمرتبة الاولى بجائزة (الشارقة للابداع العربي) عام ٢٠٠٧عن ديوان (تضاريس من جغرافية الروح).

محمود النمر
بغداد

الإرسي

صدر عن دار (الدار) في القاهرة رواية جديدة للروائي العراقي المقيم في الدنمارك سلام ابرهيم بعنوان (الإرسي) يتناول فيها تجربته في عراق (الطاغية) حيث تضطر الشخصية الرئيسة الى التخفي في الجبل بكردستان عام ١٩٨٢ثم عودته متخفياً بين بغداد والديوانية ويضطر الى التخفي في بيت عمته الارملة بـ(الارسي) حيث تجري حوادث القسم الأول من الرواية المسمى (في برزخ الارسي) واضطر بعدها الى الالتحاق مع ثوار الجبل مرة ثانية بصحبة زوجته الماركسية حيث يعيش تجربة عنيفة أخرى اجتماعية ونفسية ،ثم يصاب بالاسلحة الكيمياوية ويتارجح بين الموت والحياة وهو القسم الثاني المسمى (في برزخ الجبل).

الآن أو دائماً

صدر عن دار الشؤون الثقافية رواية جديدة بعنوان (الآن أو دائماً) للروائي العراقي علي حداد، بعد ان استمر منعها اكثر من اربعة وثلاثين عاماً، والروائي علي حداد له الكثير من الروايات منها /التعيس الذي رأى نفسه، وعندما كنا نحتال على الأشياء التي تتحدث عن اقفاص الاسرى العراقيين في إيران والذي كان الروائي منهم لمدة عشرين عاماً.

شاعرية العلم

المتنبّي وعمى الثلج

جمال جمعة

قبل قرون عدّة، في شتاء ما، كانت سنابك جواد أبي الطيّب المتنبّي تخبّ على جبال لبنان المدثّرة بالثلوج قادماً إليها من شمال الشام، مطارداً من جنود الأخشيدي قبل أن يفلت منهم ويختار أن يلقي برحله عند أبي علي هارون الأوراجيّ، الذي كان معروفاً بميله للتصوّف، حيث استقبله وأحسن وفادته فمدحه أبو الطيّب بقصيدتين واحدة منها همزيّته الشهيرة التي تنفرد من بين جميع قصائده برمزيتها الصوفيّة وقوّة سبكها، وسيهمّنا منها هنا هذه الأبيات:

بيني وبين أبي عليّ مثله
شُمُّ الجبال ومثلهنّ رجاءُ
وعِقابُ لبنانٍ، وكيف بقطعها
وهو الشتاءُ، وصيفهنّ شتاءُ
لَبَسَ الثلوجُ بها عليّ مسالكي
فكأنّها ببياضها سوداءُ

ومن بين الشروحات العديدة التي بين يدي سأختار شرح من هو أعرف بالعمى من غيره وأخبر. يقول أبو العلاء المعرّي في معرض كلامه عن البيت الأخير: (لبس: أي عمّى وغطى وأخفى، على الطريق في هذه العقاب [العقاب: جمع عقبة، وهي المرتقى الصعب من الجبال]، فكأنها مع بياضها سوداء؛ حيث أن الطريق خفي فيها وهي بيضاء، كما يخفى في سواد الليل، إذ العادة أن الطريق لا يخفيه إلا سواد الليل، وظلمة الغيم، فمتى خفي بالبياض صار بمنزلة السواد).

نستنتج من هذا الكلام، لو قرأناه قراءة علميّة محضة، أنّ المتنبّي أصيب بما يعرف علمياً بعمى الثلج Snow blindness، في أثناء رحلته التراجيديّة عبر جبال لبنان، فاستوى عنده الضوء والظلام حينما كان يتلمّس خطاه في مفازة الثلج بحثاً عن سبيل للهروب من جيش المطاردين.

عرف العرب عمى الثلج برغم ندرة سقوطه على بلادهم، فيقال لمن تحيّر بصره من الثلج ولم يبصر فيه «قَمِرَ»، وأصل الكلمة تُردّ الى القَمر الذي يعشي أبصار الطيور والظباء في الليل فيسهل صيدها، فيقال «تقمّرها» الصيّاد، أي اختدعها، ومنها جاءت كلمة «القِمار»، لأنّها مأخوذة من الخداع، خداع البصر على الأغلب.

يحدث عمى الثلج، الذي يُعرف أيضاً بالتهاب القرنيّة، حين تتعرّض العيون غير المحميّة جيّداً للأشعة فوق البنفسجيّة المنعكسة من الشمس على الثلج، أو الرمل بدرجة أقلّ، خصوصاً في المناطق ذات الارتفاعات العالية، كالتي مرّ بها المتنبّي في تجواله بين جبال لبنان، مما يتسبّب باحتقان في العين وحالات ألم حادّة قد تصل الى عمى مؤقت، يلتبس فيها الليل بالنهار والضوء بالظلام.

أصبتُ بعمى الثلج أوّل مرة حينما غادرت العراق هارباً عبر جبال كردستان، وكان برفقتي فصيل من مقاتلي البيشمركة الشيوعيين، دليل طريق، مهرّب، وحمار صغير يتقدّمنا غير آبه بالثلج الكثيف الذي يكاد يصل للركبتين، وبين وخز العيون ونخز البرد توقف الدليل فجأة وتوقف معه حماره، «لقد تهنا» قال الدليل، فتململ المهرّب وتلفّت الرفاق كل الى جهة، أما أنا فبقيت جامداً في مكاني أفرك عينيّ محاولاً تحديد المكان الذي أنا فيه، وبين احتجاجات الجميع أصرّ الدليل أن نسلّم أقدارنا للحمار الذي أكّد أنه يعرف الطريق غريزيّاً وكل ما علينا هو أن نتبعه إذا أردنا الوصول، وفعلاً خبّ بنا الحمار بدأب من يسير على خريطة، وهكذا وصل الجميع الى مقاصدهم، المهرّب الى محطته، الدليل الى بيته، والمقاتلون الى مقرّاتهم، إلا أنا، فقد بقيت أتبع حماري الخاص الذي ما يزال يخبّ بي في السهول والجبال والمرتفعات والوديان منذ ٢٥ عاماً من دون أن يعيدني الى أهلي.

jamaljuma@hotmail.com

يحدث عمى الثلج، الذي يُعرف أيضاً بالتهاب القرنيّة، حين تتعرّض العيون غير المحميّة جيّداً للأشعة فوق البنفسجيّة المنعكسة من الشمس على الثلج، أو الرمل بدرجة أقلّ، خصوصاً في المناطق ذات الارتفاعات العالية، كالتي مرّ بها المتنبّي في تجواله بين جبال لبنان، مما يتسبّب باحتقان في العين وحالات ألم حادّة قد تصل الى عمى مؤقت، يلتبس فيها الليل بالنهار والضوء بالظلام.

أحزان السنة العراقية

شباط

خزعل الماجدي

16شباط

أنت مقيد وأنا مشلول

ليس جداراً ذلك الذي يفصل بيني وبينكَ
ليس باب غرفتي
ولا باب غرفتك
ليست المسافة بين حروف الموسيقا
وبين نشوتكَ
إنهُ أثخنُ بكثير
وأرعبُ بكثير
لا أصل إليكَ بسيارةٍ
ولا بهاتف جوّال.
يفصلني عنك، اليوم، وادي الظلمات
يفصلني درب الصد ما رد
وأنت رهين قبضتهم
يفصلني عنك زمنٌ يمتدُ لأكثر من ألف سنة
منذ تركتُ البداوةَ والفلاحةَ عالقةً بأجدادي
وهربت منهم
منذ حوّلت سيوفهم إلى رماد
وجعلتُ من بنادقهم كلاماً جميلاً
وخناجرهم تحفاً معلقةً على جدراني
ورمالهم إلى بساتين
تلك التي يمرحون فيها
تفصلني الجبالُ السبعة عنك
تفصلني الضباعُ والأسود والأفاعي
أنتَ مقيّدٌ
وأنا مشلول
فكيف سنلتقي.

17شباط

عيـن

أنا على شفير الهاوية
ولدي ضمّني
ربما أرتَفعُ بكَ
لن يكون هناك أحدٌ سواك
ولا أريد أن اسقط في الريح
أنا رهين أنفاسك
أرجوك دلني على الجهات
العراق يحترق فلا تحترق معه
انوحفي البراري كل ليلة:
إبكِ على حالتي بالدمع يا عينْ
صبّي عليه.. لم تُصبه العين
لو كان في مهجتي نبعٌ، زلالٌ، عينْ
ما كنتُ أبقيكَ تمشي تشتهيكَ العينْ
في الليل الحزين
وأنا على شفير الهاوية
ليس هناك
سوى مروان
يلوّح لي بالمرارة
وألوّح له بالبكاء.

18شباط

نساء السواد

تقدمنَ في الزجاج
حاملات الأوجاع والمشاعل
تقدمنَ في الطين
حاملات الجمال والفجائع
وقفت الذئابُ في طرقهنَّ مكشرّة الأنياب
لكنهنّ تقدمنَ في أجساد الذئاب
مثل الأمازونات

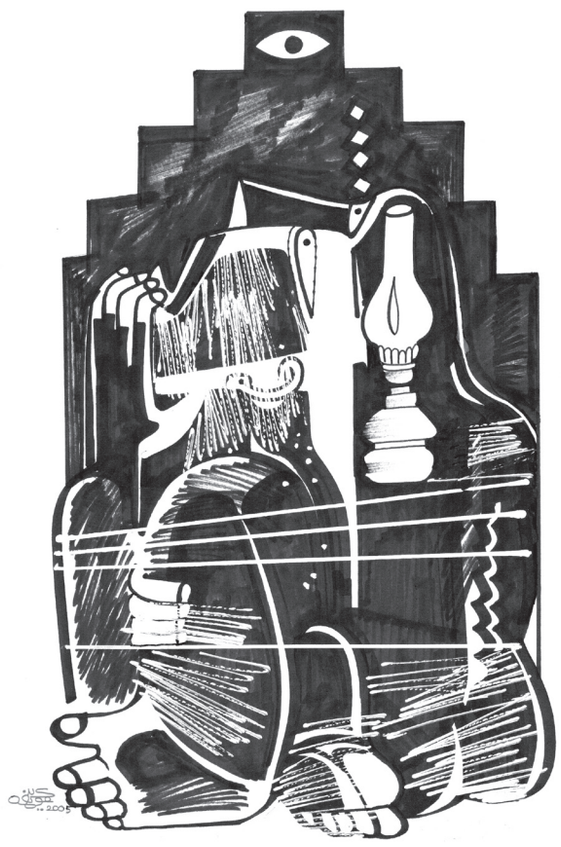

غسلوا عن وجوههنَّ النور
ثم وضعوا المكياج الفاسد
أفرغوا قاماتهنّ الشبوطية من الزهور
وأدخلوهنَّ في أكياس سوداء
أشبعوهنّ وخزاً بالمخايط والمسامير
مزقوا شبابهنّ
وعبثوا بشباكهن الحرير
حاملات النهار
ملأوا قواريرهنّ بالقبح
ونفخوا في شموعهنّ السموم
وجوههنّ الكالحة
شفاههنّ المزبدة من كثر الصياح
نهودهنّ الضامرة
الشعر الأسود ا النابت على سيقانهن كالشوك
رائحتهن الملتبسة
أظافرهن المتسخة المقرطفة
شوارعهن الملأى بالأحجار والغبار
بيوتهنّ المشبعة بالبكاء
جدران حياتهن المليئة بالصور الشمسية
وقصاصات الجرائد الصفراء
ماذا فعلنا بنسائنا؟
أجمل مخلوقات الكون
ما هذه الكنوز التي عبثنا بها؟

وحدها الليالي
تعرفُ أوجاع هذه العابرة تحت المطر
تفتحت جراحها وخاطتها غير ذي مرةٍ.

لا يعرفون معنى أن تنشف المياه
في جذع امرأةٍ
لا يعرفون معنًى أن تغور عيونها
في المحاجر
وأن يتحول جسدها إلى ترابٍ ورماد.

تنوحُ النساء في العراق
مثلما تنوح الأشجار والأنهار
لكن نواح النساء يأكلُ لحمنا
ويحفر عظامنا
ويحولنا إلى مزابل.

19شباط

محاولات

نزل الشاعر إلى شوارع بغداد
لا ليقرأ قصيدته بل ليتسوق!
رأى أشياء كثيرة وخرج من السوق دون أن يشتري شيئاً
وقال مع نفسه: «كم هناك من الأشياء لا أحتاجها !!» (×)

صعد الشاعر سيارة مزدحمةً
لا ليكتب قصيدةً بل ليصل إلى بيته
ومضت السيارة لساعات.. وهو صافنٌ
لساعات طويلة.. لكنه لم يصل إلى البيت

وقف الشاعر في الزحام الطويل
لا ليهمسَ للطيور بل ليحصل على جواز سفر
لأيام طويلة وقفَ.. لكنه لم يحصل على الجوازِ.

وضع الشاعرُ كوفيةً على رأسه وفمه
لا ليتلثم كالمسلحين بل ليهرب منهم
كان خائفاً من أن يخطفوه
لأيام طويلةٍ وضعها.. لأيام طويلةٍ كان يبكي منظره هكذا.

أغمد الشاعرُ خنجراً في قلبه
لا بسبب يأسه بل ليزيح الدم الفاسد الذي خلفته ترهات البلاد فيه.

لساعات طويلة كان ينزف.. لكنه لم يمت.
ركضَ الشاعرُ في الشوارع
لا ليبحث عن ولده ..
بل ليجد طريقاً للخروج من البلاد كلها.

لأيام طويلةٍ يركضُ.. ولكنه لم يخرج.
تحرك الشاعرُ في قيوده
حرّكَ الهواء
وحرّكَ الأرضَ معه.

(×) هذه العبارة لسقراط